

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ
فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ
الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: 32]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تَكْمِلَةُ النِّشَاطِ
الْقَصَصِيِّ،
بِجَعْلِ النِّسْوَةِ
أَحَقَّ بِاللُّومِ مِنْ
امْرَأَةِ الْعَزِيزِ

لما ذكرت الآية السابقة مقولة النسوة في امرأة العزيز، إنَّ يوسف   قد شغفها حباً، وأنَّهنَّ يَرَيْنَهَا في ضلالٍ مُبينٍ، شقَّ ذلك عليها وعظَّم جدًّا، فاحتالت عليهنَّ فجمعتهنَّ، فلما رَأَيْنَ يوسف   أعظمته وقطعنَّ أيديهنَّ؛ جاءت هذه الآية لِتُجِيبَ عن تطلُّع الأنفس لمعرفة مقالة امرأة العزيز لهؤلاء النسوة، فجاء قول الله سبحانه: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾، فبيَّنت لهنَّ أنَّهنَّ أحقُّ باللوم؛ لأنَّهنَّ بنظرة واحدة لحقتهنَّ أعظم ممَّا نالها مع طول مكثه عندها⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لُمْتُنَنِي﴾: اللَّامُ والواوُ والميمُ تدلُّ تصريفاتها على معنيين؛ أحدهما: العتَبُ والعَدْلُ، والآخر: الإبطاءُ، ومنه التَّلَوُّمُ، وهو التَّمَكُّثُ. ومنَ الأول: اللُّومُ وهو العَدْلُ والعِتَابُ، تقول: لُمْتَهُ لَوْمًا؛ إذا عَاتَبْتَهُ⁽²⁾، وحقيقة اللُّوم: عَدْلُ الإنسانِ وعِتَابُهُ بنسبته إلى ما فيه لَوْمٌ عليه⁽³⁾ والتَّلَاوْمُ: أَنْ يَلُومَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ومعنى قولِ الله  : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾؛ أي: عَيَّرْتُنِي فِي حُبِّهِ والافتِتَانِ بِهِ⁽⁴⁾.

(2) ﴿رَاودْتُهُ﴾: الرَّاءُ والواوُ والدَّالُّ تدورُ اشتقاقاتها على الطَّلَبِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/450.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لوم).

(3) الزَّاغِب، المفردات: (لوم).

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/273.

والاختيار، ومنه أراد فلان كذا إرادة؛ أي: طلبه واختاره، والفعل: راودَ مُفاعلةً منه، تقول: راودته على الأمر مُراودةً؛ أي: طلبتُ منه فعله، وكأنَّ في المُراودة معنى الخداع؛ لكون الطالب يتلطف في طلبه كتلطف المخادع، ويحرص على الأمر كحرصه⁽¹⁾. فالمراد يحاول جذب الآخر مرةً بعد مرة، وكلُّ (مراودة) في القرآن فهي مُجاردة ومُجاذبة⁽²⁾. والمرادة في قول الله ﷻ: ﴿وَرَاودَتْهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 23] كناية عما تريده النساء من الرجال⁽³⁾.

(3) ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾: العين والصاد والميم تدلُّ اشتقاقها على معنى الإمساك والمنع والملازمة، ومن ذلك: العصمة؛ وهي أن يمنع الله تعالى العبد من سوء يقع فيه⁽⁴⁾. والاعتصام هو التمسك بالشئ، ومنه: استعصم؛ أي: استمسك. ومعنى قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾؛ أي: تأبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت⁽⁵⁾، فكانه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة⁽⁶⁾.

(4) ﴿الصَّغِيرِينَ﴾: الصاد والغين والراء تدورُ تصاريُفها على معنى القلة والحقارة، ومنه الصَّغر، وهو خلافُ الكبر⁽⁷⁾، والصَّغرُ قد يُطلق باعتبار الذات، وتارةً باعتبار القدر والمكانة⁽⁸⁾، فالأول صِغَرُ حسيٍّ، والآخر معنويٍّ، ومن المعنوي: الصَّغار؛ وهو الذلُّ والهوان⁽⁹⁾. ومعنى قول الله سبحانه: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ أي: الدَّالِّين⁽¹⁰⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن

(1) الفيومي، للصباح للنير: (رود).

(2) جبل، للعجم الاشتقاق للوصل: (رود).

(3) الهروي، الغريبين: (رود).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عصم).

(5) الأزهرى، تهذيب اللغة: (عصم).

(6) الزاغب، المفردات: (عصم).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صغر).

(8) الزاغب، المفردات: (صغر).

(9) ابن الأثير، النهاية: (صغر).

(10) الواحدي، التفسير البسيط: 12/106.

انتصار امرأة
العزیز علی
النسوة،
ومجاهرتها
بفجورها
واستعلائها

إِيَّاهُ، وَفِي نَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْكَ إِلَيْهِ، فَأَصَابَكُنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ
وَعُزُوبِ الْفَهْمِ وَلَهًا، حَتَّى قَطَعْتَنَ أَيْدِيكَنَّ؛ هُوَ الَّذِي لَمْتَنِي فِي حُبِّي
إِيَّاهُ، وَشَغَفِ قُودِي بِهِ، ثُمَّ أَقَرَّتْ لَهَنَ بَأْنَهَا قَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ
فَاسْتَعَصَمَ، وَمَعَ ذَلِكَ أَعْلَنْتُ إِصْرَارَهَا عَلَى إِخْضَاعِهَا لِيُوسُفَ ﷺ
لِيَفْعَلَ مَا تَرِيدُ، فَهَدَّذْتُه وَأَنْذَرْتُه بِقَوْلِهَا: وَلَيْتَن لَمْ يُطَاوِعْنِي عَلَى مَا
أَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ حَاجَتِي إِلَيْهِ؛ لِيَحْبَسَنَّ، وَلِيَكُونَنَّ مِنْ أَهْلِ الصَّغَارِ
وَالذَّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ⁽¹⁾.

وَتُرْشِدُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ إِلَى أَنَّ يُوسُفَ ﷺ لَمْ يَتَّجَهْ بِشَهْوَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ
نَحْوَهَا، فَقَدْ ظَلَّ سَنِينَ عَدِيدَةً تَحْتَ رِعَايَتِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا، وَذَلِكَ لِكَمَالِ
نَفْسِهِ، وَطِيبِ خُلُقِهِ، وَإِعْدَادِ اللَّهِ إِيَّاهُ لِلنُّبُوءَةِ، وَقَدْ تَأَكَّدَتْ هَذِهِ الْعَصْمَةُ
الرَّبَّانِيَّةُ، وَتَجَلَّتْ بِأَجْلَى مَظَاهِرِهَا، حِينَ دَعَتْهُ إِلَى مُخَالَطَتِهَا، وَبَذَلَتْ
لَهُ مِنْ أَسَالِيبِ الْإِغْرَاءِ مَا بَذَلَتْ؛ لِتَرْفَعَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ الْخَشْيَةَ
مِنْهَا وَتَهَيَّبَ مَقَامِهَا وَتَدْفَعُهُ إِلَى الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالْاجْتِرَاءِ عَلَيْهَا بَعْدَ
أَنْ أَذَلَّتْ لَهُ أَنْوَتَهَا، وَأَنَّهُ مَعَ هَذَا الْإِغْرَاءِ وَالتَّمَكُّنِ التَّامِّ، امْتَنَعَ مَعَ
أَنَّهَا شَكَتْ حَالَهَا إِلَى النَّسْوَةِ؛ لِتَسْتَعِينَ بِأَنْتَمَةِ الْمَكْرِ وَالْإِحْتِيَالِ عَلَيْهِ.

وَتُرْشِدُ إِلَى أَنَّهَا بِهَذَا التَّصْرِيحِ كَذَّبَتْ نَفْسَهَا فِيمَا قَالَتْهُ لِزَوْجِهَا،
مِنْ أَنَّ يُوسُفَ أَرَادَ بِهَا سُوءًا، وَإِلَى أَنَّهَا اسْتَعْمَلَتْ مَعَ يُوسُفَ نَوْعَ
إِكْرَاهٍ، بِأَنْ تَوَعَّدَتْهُ بِالسَّجْنِ وَالْمَهَانَةِ، إِذْ هُوَ تَهْدِيدٌ مِمَّنْ يَغْلِبُ عَلَى
الظَّنِّ وَقَوْعٍ مَا هَدَّدَ بِهِ⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلغي:

عَلَّةُ الْفَصْلِ فِي: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾:

فُصِّلَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛
لَوْقَوْعِهِ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا، إِذْ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ شِبْهُ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ؛ وَذَلِكَ

شبه كمال
الاتصال بين
الجملتين، وأثره
في الدلالة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/85 - 86.

(2) ابن القيم، الجواب الكافي، ص: 210، ومجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط: 4/314.

لأنَّ قولَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يبعثُ في نفسِ المتلقِّي سؤالاً، وهو: فما قالتَ لهنَّ امرأةُ العزيز؟⁽¹⁾ فجاءَ الجوابُ في قولِ الله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾.

دلالة الفاء في ﴿فَذَلِكُنَّ﴾:

الفاءُ في قولِ الله ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ هي الفاءُ الفصيحة⁽²⁾، وهي التي تُفصحُ عن شرطٍ مُقدَّرٍ، والتقديرُ في هذه الآية: إِنْ كَانَ هَذَا كَمَا زَعَمْتُنَّ مَلَكًا؛ فهو الَّذِي بَلَّغَكُنَّ خبرَهُ، فَلُمْتُنَّنِي فِيهِ⁽³⁾، فَطَوِيَ الشَّرْطُ لدلالةِ المقامِ عليه، فكانَ في ذلك غُنيَّةٌ عن التَّصريحِ به؛ اقتصاداً في اللَّفْظِ.

غرض التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ:

جاءَ التَّعبيرُ باسمِ الإشارةِ (ذلك) مِنْ قولِ الله ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ ليوسفَ ﷺ بالعنوانِ الَّذِي وَصَفَنَهُ بهِ النِّسوةُ مِنَ الخُروجِ في الحُسْنِ والجمالِ، عَنِ المراتبِ البشريَّةِ إِلَى الملائكيَّةِ، وَقَصَّدَهَا بِذلكَ تمييزُ يوسفَ ﷻ أتمَّ تمييزٍ؛ لَتُظْهَرَ عُذْرُهَا فِي شَغْفِهَا بِهِ؛ إِذْ كَانَتِ النِّسوةُ لَمْ يَرَيْنَهُ مِنْ قَبْلُ⁽⁴⁾، وَفِي التَّعبيرِ بِهِ إيماءً إِلَى الأوصافِ السَّابِقَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ لهنَّ: الَّذِي قَطَّعْتَ أَيْدِيَكُنَّ بِسَبَبِهِ، وَأَعْظَمْتَنَّهُ، وَقُلْتَنَّ فِيهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ نَفْيِ البشريَّةِ عَنْهُ وَاثْبَاتِ المَلَكِيَّةِ لَهُ؛ هُوَ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِي حُبِّهِ وَشَغْفِي بِهِ⁽⁵⁾. وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ الإِشارةُ إِلَى المعنى المُستفادِ مِنْ قولهنَّ: إِنَّهَا عَشِقَتْ عَبْدَهَا، فَكَأَنَّهَا قَالَتْ: هَذَا هُوَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي صَوَّرْتَنَ فِي أَنْفُسِكُنَّ ثُمَّ

تَرَكَ التَّصريحَ
بما دَلَّ للقَامُ
عليه؛ اقْتِصاداً
في اللَّفْظِ

تَعْظِيمُ يُوسُفَ
وَرَفْعُهُ
شَأْنُهُ مِنْ بَيَانِ
السِّيَاقِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/74.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/272.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/264.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/264.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 6/272.

لَمُنَّنِي فِيهِ، وَالْمَقْصُودُ: إِنَّكَ لَوْ تَصَوَّرْتَهُ بِحَقِّ صَوْرَتِهِ، لَعَذَرْتَنِي فِي الْافْتِتَانِ بِهِ⁽¹⁾.

معنى التَّعْبِيرِ بـ (لَا مَ الْبُعْدِ) فِي ﴿فَذَلِكُنَّ﴾:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِلَا مَ الْبُعْدِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾؛ لِلْإِيْمَاءِ إِلَى عُلُوِّ رُتَبَتِهِ وَمَنْزَلَتِهِ فِي الْحُسْنِ، وَلِلْإِيْمَاءِ إِلَى بُعْدِهِ عَنِ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ أَمَلٍ وَرَجَاءٍ لَامْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَتَمْهِيدًا لِعَذْرَاهَا فِي الْافْتِتَانِ بِهِ، فَفِيهِ تَنْزِيلُ الْقَرِيبِ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ⁽²⁾. وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ التَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ عَلَى بَابِهِ، وَأَنَّهَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ بِصِغَةِ (ذَلِكُنَّ) بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَكَانَ بَعِيدًا بِهَذَا الْاعتِبَارِ⁽³⁾؛ لِأَنَّ انْصِرَافَهُ عَنِ مَجْلِسِهِنَّ كَانَ سَبَبًا مَا رَأَاهُ مِنْ دَهْشَةٍ وَتَقْطِيعِ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ، وَقَوْلُهُنَّ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾، فَبَعْدَ عَنْهُنَّ إِبْقَاءً عَلَيْهِنَّ؛ لِئَلَّا تَزْدَادَ فِتْنَتُهُنَّ بِهِ⁽⁴⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿الَّذِي﴾:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿الَّذِي﴾ الْمُبْهَمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾؛ لِتَأْتِي جُمْلَةُ الصَّلَةِ مُزِيلَةً ذَلِكَ الْإِبْهَامَ بِمَا وَصَفْنَاهُ بِهِ بِقَوْلُهُنَّ: ﴿مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ خَارِجٌ فِي الْحُسْنِ عَنْ مَرَاتِبِ الْبَشَرِيَّةِ، أَوِ الَّذِي قَطَعَتْ أَيْدِيَهُنَّ بِسَبَبِهِ لِعَدَمِ عِلْمِ النَّسْوََةِ بِشَيْءٍ مِنْ طُرُقِ تَعْرِيفِهِ إِلَّا مَا ذُكِرَ فِي جُمْلَةِ الصَّلَةِ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ أَوْقَعَ فِي إِرَادَةِ بَيَانِ خَطِيئَتِهِنَّ عِنْدَمَا لُمْنَهَا فِي حُبِّهِ⁽⁵⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بـ ﴿لَمُنَّنِي﴾:

جاءَ التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ بِاللَّوْمِ ﴿لَمُنَّنِي﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿قَالَتْ

بَيَانُ عُلُوِّ رُتَبَةِ
يُوسُفَ ﷺ فِي
الْحُسْنِ وَالْعَفَّةِ

خَطَأَ النَّسْوََةِ
عِنْدَمَا لُمْنُ امْرَأَةٍ
الْعَزِيزِ فِي حُبِّ
يُوسُفَ ﷺ

الْإِنْبَاءُ عَنْ تَأَثُّرِ
امْرَأَةِ الْعَزِيزِ
بِمَقَالَةِ النَّسْوََةِ
فِي شَأْنِهَا

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 2/467.

(2) أَبُو حَتَّىانَ، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 6/271، وَالْقَزْوِينِيُّ، الْإِبْضَاحُ: 2/20، وَالبَقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 10/74، وَالبِدَوِيُّ، مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ، ص: 107.

(3) الْفَخْرُ الزَّازِي، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 18/450.

(4) أَبُو حَتَّىانَ، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 6/271، وَالْخَفَاجِيُّ، عُنَايَةُ الْقَاضِي: 5/174.

(5) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 12/264.

فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنْنِي فِيهِ ﴿١﴾ في بيان موقف النسوة من امرأة العزيز، في مُراودتها لفتاها؛ لِيُنَبِّئَ عَنِ الْمَوْقِفِ النَّفْسِيِّ مِنْهِنَّ، وما يَحْمِلُنَّهُ من تشنيع وَفَضَح لها؛ لِأَنَّ أَصْلَ اللَّوْمِ يُطْلَقُ عَلَى الْوَصْفِ الْقَبِيحِ، وعلى الْمُعَايِرَةِ؛ كَأَنَّهَا قَالَتْ: "هذا الْعَبْدُ الْكِنَعَانِيُّ الَّذِي صَوَّرْتَنَ فِي أَنْفُسِكُنَّ، وَقُلْتَنَ فِيهِ وَفِيَّ مَا قُلْتَنَ؛ فَالآنَ قَدْ عَلِمْتَنَ مَنْ هُوَ وما قَوْلُكُنَّ فِينَا" (١).

معنى حرف الجرّ (في):

آثَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ التَّعْيِيرَ بِحَرْفِ الْجَرِّ (في) دُونَ الْبَاءِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنْنِي فِيهِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِغْرَاقِ لَوْمِهِنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ ﷺ مِنْ جَمَالِهِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ التَّعْلِيلُ (٢) كَالْوَارِدَةِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِرَّةٍ» (٣)، فَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنْنِي فِيهِ﴾؛ أَي: عَاتَبْتُنْنِي مِنْ أَجْلِهِ أَوْ بِسَبَبِهِ.

دلالة التعبير بالإضمار:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لُمْتُنْنِي فِيهِ﴾، وَفِيهِ آثَرَ السِّيَاقِ الْكَرِيمِ التَّعْيِيرَ بِالِإِضْمَارِ بَدَلًا مِنَ الْإِظْهَارِ؛ لِتَعَدُّدِ الْمُرَادِ بِالضَّمِيرِ فِي ﴿فِيهِ﴾؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى يُوسُفَ ﷺ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا إِلَى الْحُبِّ، وَالتَّقْدِيرُ: ذَلِكُنَّ الْحُبُّ الَّذِي لُمْتُنْنِي فِيهِ (٤). وَهُمَا وَجْهَانِ مَتَّابِلَانِ؛ لِأَنَّ رَجُوعَ الضَّمِيرِ إِلَى يُوسُفَ ﷺ هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَتَقْدِيرُهُ: لُمْتُنْنِي فِي حُبِّ يُوسُفَ، وَالْمَعْنَى عَلَى ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِلتَّعْيِيرِ بِالِإِضْمَارِ؛ لِأَنَّ الْحُبَّ لِيُوسُفَ أَمْرٌ قَلْبِيٌّ، وَإِنْ ظَهَرَتْ عِلَامَاتُهُ فِي طَلَبِ الْمُرَاوَدَةِ، إِلَّا أَنَّ أَصْلَ الْحُبِّ أَمْرٌ خَفِيٌّ نَاسِبُهُ التَّعْيِيرُ بِالِإِضْمَارِ.

بَيَانُ سَبَبِ لَوْمِ
النِّسْوَةِ وَعَلَّتِيهِ فِي
السِّيَاقِ الْحَكِيمِ

تَعَدُّدُ أَسْبَابِ
لَوْمِ النِّسْوَةِ
لِامْرَأَةِ الْعَزِيزِ

(١) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَالِي: ١٢/٢٣٢.

(٢) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: ١٢/٢٦٤.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، الْحَدِيثُ رَقْمُ: (٣٣١٨)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، الْحَدِيثُ رَقْمُ: (٢٦١٩).

(٤) ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَزْرُ الْوَجِيزُ: ٣/٢٤١، وَالْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٩/١٨٣.

براعة الإيجاز في سياق الجملة المفيدة:

وقوع اللوم على
المرأوة لا على
الحب المفريط

في قول الله ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ إيجازٌ بالحذف يدلُّ عليه تعدُّ المراد في عود الضمير؛ فيجوزُ أن يكونَ راجعاً إلى يوسف ﷻ، والتقدير: لمتنني في حبه؛ لقول الله تعالى قَبْلُ: ﴿فَدَّ شَعْفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30]، أو: لمتنني في مرأودته؛ لقول الله سبحانه: ﴿تُرَاوِدُ فَتَقَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 30]، أو: لمتنني في شأنه وأمره⁽¹⁾، فيكون شاملاً للأمرين المتقدمين. وذكر الخطيب القزويني أن العادة قاضية بتعيين المرأودة؛ وذلك لأنَّ الحبَّ المفريط لا يلامُ صاحبه عليه؛ لقهره صاحبه وغلبيته إياه، وإنما يقع اللوم على المرأودة؛ لكونها داخلة في فُدرة الإنسان على مدافعتها⁽²⁾.

بلغة التعبير بالجملة الخبرية:

تَشَفَّى امرأة
العزیز من
النسوة، و رفع
المأمة عنها

قولُ الله ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ جملةٌ خبريةٌ، والمقصودُ بها التَّشَفِّي والتَّباهي والاعتذارُ عما صدرَ منها معه، وفيه الإعلانُ بالإنكارِ عليهنَّ؛ إذ المعنى: هل يجوزُ أن تَلُمْنَنِي فيه، وقد قَطَعْتُ أَيْدِيكُنَّ بسببِ نظرةٍ، فكيف بمنَّ هو قريبٌ منه يُطْلَعُ عليه على وجهِ الدوام؟! قد عَلِمْتُ أَنَّي معذورةٌ فيما جرى مِنِّي مَعَهُ⁽³⁾، وفي هذا دليلٌ على أنَّ كيدَ المرأةِ أبلغُ من كيدِ النسوة، إذ انتهى كيدها إلى إقامة الدليلِ الحسيِّ الذي لا يمكنُهنَّ نسيانَهُ بتقطيعِ أيديهنَّ.

نكتة التأكيد في: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ﴾:

مُجَاهَرَةً امرأة
العزیز،
وتصريحها
بمرأودتها
يوسف ﷻ،
غايةً للكمح في
القصة

أكد الخبر في قول الله ﷻ حكايةً عن امرأة العزیز: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ باللام الواقعة في جوابِ قسمٍ محذوفٍ، وبد (قد) المفيدة التحقيق؛ "أي: والله قد راودته حسبما قلتن وسمعتن"؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/264.

(2) القزويني، الإيضاح: 3/195.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3820، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 7/354.

لأنَّهَا لما عَلِمَتْ أَنَّ النُّسوةَ عَذَرْنَهَا، جَاهَرَتْ بِالتَّصْرِيحِ بِمُرَاوَدَتِهَا
يُوسُفَ ﷺ مُؤَكَّدَةً ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِلْذَاذِ بِالْهَيْامِ فِي حُبِّهِ⁽¹⁾، وفي
هذا إشارة على إقرار امرأة العزيز بما ضاق صدرها عن كتم ما تجده
في قلبها من حبه؛ فأقرت بذلك، وصرحت بما وَقَعَ منها مِنَ المُرَاوَدَةِ.

سرُّ التعبير بالفعل الماضي ﴿رَاوَدَتْهُ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل الماضي، ليدلَّ على تحقُّق وقوع المُرَاوَدَةِ من
امرأة العزيز لِيُوسُفَ ﷺ، وفي هذا ذكرٌ دليلٍ آخر على براءته ﷺ
مَنْ الهمُّ الفعليُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: 24]،
فضلاً عن المُرَاوَدَةِ.

دلالة التعبير بـ ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بقوله: ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ بدلاً من ذاته؛ للدلالة على
سمو معدنه ﷺ؛ لأنَّ النَّفْسَ مِنَ النَّفِيسِ، وهذا واضحٌ في حقِّه ﷺ
بأنَّ روحه تتجلَّى فيها الرُّوحُ الملكِيَّةُ بأظهر صفاتها.
وللإشارة أيضاً إلى معنى المنافسة؛ وهي مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ لِلتَّشْبُّهِ
بالأكمل؛ فكانَ التَّعبيرُ بقوله تعالى: ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ هو المَظْهَرُ للجمال
الرُّوحيِّ قَبْلَ الجمال الجسmaniِّ.

معنى التعبير بالفاء في: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ بالفاء العاطفة بلا تراخٍ في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾
على كلام محذوفٍ، جرى منها لِيُوسُفَ ﷺ لم يذكر تعظيماً لقدره
ﷺ، وفيه إشارة إلى سرعة رفض المُرَاوَدَةِ؛ فبمُجَرَّدِ طلبها للمُرَاوَدَةِ،
كان الإباءُ والرَّفْضُ السَّريُّ من يوسُفَ ﷺ؛ لطهارة نفسه ومعدنه.

سرُّ التعبير بـ ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾:

جاءَ فِعْلُ العِصْمَةِ على زِنَةِ الاسْتِفْعَالِ (اسْتَعْصَمَ) في قولٍ

تحقُّق وقوع
المُرَاوَدَةِ من امرأة
العزيز ليوسف



تجلية مظهر
الجمال الروحي
قبل الجمال
الجسماني

الإباء والرَّفْضُ
السَّريُّ، بمُجَرَّدِ
طلبها الفعل
الرَّخِيسَ

تعلَّق يوسف
بربِّه ﷺ دليل
الخصوصية
وعمق اليقين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/74.

اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ رَجُلٌ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ﴾، وهو فعلٌ ماضٍ زِيدَتْ فيه السَّيْنُ للمبالغة في الامتناع؛ للدلالة على الامتناع البليغ والتَّحَفُّطِ الشَّدِيدِ، حَتَّى كَأَنَّهُ في عِصْمَةٍ، وهو يَجْتَهِدُ للاستِزَادَةِ مِنْهَا، وفي ذلك دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ على أَنَّهُ لم يَصُدِّرْ مِنْهُ ﷻ شَيْءٌ يَقْدَحُ في اسْتِعْصَامِهِ⁽¹⁾، وفي هذا دَلِيلٌ على أَنَّ يوسُفَ ﷻ لم يدَعْ في قلبه مَكَانًا خَالِيًا لنظرات هذه المرأةِ الولهةِ الَّتِي شَغَفَهَا حُبُّ يوسُفَ ﷻ.

نكتة التأكيد في الجملة الخبرية:

حال امرأة
العزیز فی حبِّها
لیوسف، یقتضی
إنكار أن تفعل
ما يؤذیه

جملة ﴿وَلَمَّ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ﴾ جملةٌ خبريةٌ؛ لأنَّ التَّحْقِيقَ في جملةِ الشَّرْطِ أَنَّهَا بحسَبِ الجوابِ، والجوابُ هُنا ﴿لَيْسَ جَنْ﴾ وهو خبرٌ، وقد أَكَّدَتْ جملةُ الشَّرْطِ لكونِ حالِ حُبِّها يَقْتَضِي إنكارَ أَنْ تَفْعَلَ ما يُؤْذِي المحبوبَ، وذلكَ لِلْمُنَافَاةِ بَيْنَهُمَا؛ إذ مَنْ يُحِبُّ أَحَدًا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤْذِيَهُ عَادَةً، فضلاً عَنْ أَنْ يُبَالِغَ في هذا الإيذاءِ بالسَّجْنِ أو الإِذْلَالِ⁽²⁾؛ لذلك كان التَّعْبِيرُ بِاللَّامِ المَوْطِئَةِ للقسم؛ للدلالة على تأكيد ما ذهبَتْ إليه مِنَ الإيذاءِ؛ لِتَوْكُّدِ لِنَفْسِهَا أَنَّهَا قَادِرَةٌ على التَّخَلِّي عن هذا الحبِّ، مقابلَ إرهابِ يوسُفَ ﷻ وعقابه.

دلالة التَّعْبِيرِ بالفعل ﴿يَفْعَلْ﴾:

الإشارة إلى أنَّ
امرأة العزیز
تطلبُ إلى
يوسفَ ﷻ أن
يستجيبَ لكلِّ
ما تطلبُه

جاء التَّعْبِيرُ القرآنيُّ بقوله تعالى: ﴿يَفْعَلْ﴾ دون (يعمل)؛ للدلالة على أَنَّ امرأةَ العزیز تطلبُ إلى يوسُفَ ﷻ أَنْ يستجيبَ لكلِّ ما تطلبُه، سواء وافق مرادَه أم لم يوافق؛ بخلاف (يعمل) فهو أَخْصُ في الدلالةِ مِنْ ﴿يَفْعَلْ﴾، ولو عبَّرَ بـ (يعمل) لكان الأمرُ مقصوراً على أمرِ المُرَادَةِ دونَ تَبَعَاتِهَا، إِلَّا أَنَّهَا أَثَرَتِ التَّعْبِيرَ بما هو أَوْسَعُ وأشملُ مِنْ ذلك.

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَافُ: 2/467، وأبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 4/273.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/74.

غرض التعبير بـ ﴿مَا﴾:

جاء التعبير بـ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ﴾؛ ليعُدِّ المراد بها، ويجوز أن تكون موصولةً، والجملة بعدها صلةً، والعائد (الهاء)، ويكون التقدير: (الذي أمر به فيما سيأتي، كما لم يفعل فيما مضى)، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدريةً، والتقدير: (لئن لم يفعل أمري إياه)، ومعنى فعل الأمر فعلٌ موجبٌ ومقتضاهُ⁽¹⁾.

بلادة الحذف في ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ﴾:

في قول الله سبحانه: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ﴾ حذف للمفعول الأول لـ (أمر)، والتقدير: لئن لم يفعل ما أمر يوسف به، وحذف لدلالة ﴿يَفْعَلْ﴾ عليه؛ فإن فاعله ضميرٌ مستترٌ تقديره: (هو) يعودُ على يوسف ﷺ، فاكتفي بهذا عن التصريح به في ﴿أَمْرُهُ﴾. ويجوز أن يكون المفعول متروكاً، فيكون الفعل ﴿أَمْرُهُ﴾ - وهو متعَدٌّ - منزلاً منزلةً اللازم؛ إذ مقصودُ امرأة العزيز لزوم امتثال ما أمرت به مطلقاً⁽²⁾، وفي ﴿أَمْرُهُ﴾ حذف وإيصال؛ إذ حذف الجار، وأوصل الفعل إلى الضمير⁽³⁾.

نكتة التعبير عن المراودة بالأمر ﴿مَا أَمْرُهُ﴾:

عبّرت امرأة العزيز عن مراودتها بالأمر، فقال الله ﷻ: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ﴾؛ لإظهار أن أحكامها تجري عليه على جهة الإلزام، وليكون كلامها مقتضياً جواب امتثاله أمرها⁽⁴⁾.

دلالة اللام في: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا﴾:

اللام في قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا﴾ لام القسم،

يتعدّد المعنى
بتعدّد التأويل
ووجهه، دليلاً
على انفساح
الجملة لكل
احتمالٍ مسموحٍ
به

إرادة امرأة
العزيز أن يمتثل
أمرها امتثالاً
مطلقاً، من
مظاهر سكرة
الحكم وغوره

إظهار جريان
سلطة المرأة على
يوسف ﷺ،
من مظاهر
ترف العيش في
القصور

(1) الألوسي، روح المعاني: 6/424.

(2) الألوسي، روح المعاني: 6/424.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/273.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/273.

تهديها ليوسف
بالسجن
والصغار، إن لم
يفعل ما تأمره
به

التفريق بين
العقاب المحقق
وغير المحقق

السجن حبس
يحمل معنى
العقاب والأذى،
ويدخله من
يستحقه أو
مظلوم

والتقدير: والله ليُسجنَ وليكونَ من الصَّغِيرِينَ، واللَّامُ الْمُتَقَدِّمَةُ في ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ﴾ مُؤَدِّنَةٌ بِمَجِيءِ الْقَسَمِ⁽¹⁾، وأُكِّدَ الْفِعْلَانِ (يُسَجَّنُ وَيَكُونُ) بِنَوْنِ التَّوَكِيدِ، فَاجْتَمَعَتْ صُنُوفُ مِنَ التَّوَكِيدِ، وَذَلِكَ مُشْعِرٌ بِأَنَّهَا عَازِمَةٌ عَلَى إِنْفَازِ هَذَا الْوَعِيدِ إِذَا لَمْ يُطَاوِعْهَا يَوْسُفُ ﷺ فِيمَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَلِيَكُونَ الْوَعِيدُ أَقْوَى، فَتَنَصَّحَ النِّسْوَةُ لِيَوْسُفَ ﷺ، وَبُرِّشَدْنَهُ إِلَى مُوَافَقَتِهَا⁽²⁾.

نكتة التأكيد بالتونين: الثقيلة، والخفيفة:

أَكَّدَ فِعْلُ السَّجْنِ بِنَوْنِ التَّوَكِيدِ الثَّقِيلَةِ ﴿لَيُسَجَّنَنَّ﴾، وَأَكَّدَ مَا بَعْدَهُ بِالتَّوْنِ الْخَفِيفَةِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً لِكَلَامِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسَجَّنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَزَمَهَا عَلَى سَجْنِهِ أَقْوَى مِنْ عَزَمِهَا عَلَى إِيقَاعِ الذَّلَّةِ بِهِ، أَوْ لِأَجْلِ تَحْقُقِ السَّجْنِ فِي نَظَرِهَا، بِخِلَافِ الصَّغَارِ، فَأَكَّدَتْهُ بِنَوْنِ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَقِّقٍ فِي نَظَرِهَا، وَلِأَنَّهُ مِنْ تَوَابِعِ السَّجْنِ عَادَةً وَلَوْازِمِهِ⁽³⁾. وَفِي هَذِهِ الْمَغَايِرَةِ نُكْتَةٌ أُخْرَى؛ وَهِيَ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي تَأْكِيدِ السَّجْنِ لِمَا يَلَزَمُ مِنْهُ مِنْ إِبْعَادِهِ، وَإِبْعَادُ الْحَبِيبِ يَتَأَتَّى فِيهِ الْإِنْكَارُ أَشَدَّ مِنَ الْإِنْكَارِ الْحَاصِلِ بِإِهَانَتِهِ⁽⁴⁾.

سرُّ التعبير بـ (السجن):

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسَجَّنَنَّ﴾ جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالسَّجْنِ دُونَ الْحَبْسِ، وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، إِلَّا أَنَّ السَّجْنَ حَبْسٌ لِلْعِقَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ﴾، وَ(السَّجْنُ) اسْمٌ لْجَهَنَّمَ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُشْعِرُ بِالْعِقَابِ، بِخِلَافِ الْحَبْسِ؛ فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْمَنْعِ مِنَ الْإِنْبِعَاثِ، وَالتَّحْيِيسِ: جَعَلَ الشَّيْءَ مَوْقُوفًا عَلَى

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/241.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/273.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/74، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 7/355.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 10/74.

التَّائِيدِ، يُقَالُ: هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا فَالْحَبِيسُ أَعْمُ مَنْ السَّجْنِ؛ لِأَنَّ الْحَبِيسَ مِنْهُ مَا يَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ فِي الشَّرِّ؛ بِخِلَافِ السَّجْنِ؛ فَإِنَّهُ يَحْمَلُ مَعْنَى الْعِقَابِ وَالْأَذَى⁽¹⁾.

سُرُّ بِنَاءِ فِعْلِ السَّجْنِ لِلْمَفْعُولِ ﴿لَيْسَجَنَّ﴾:

بُنِيَ فِعْلُ السَّجْنِ ﴿لَيْسَجَنَّ﴾ لِلْمَفْعُولِ فَقَالَ اللَّهُ ﷻ حِكَايَةً لِكَلَامِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيْسَجَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾؛ وَذَلِكَ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْمُلُوكِ يُعْظَمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ، وَإِيهَامًا لِسُرْعَةِ تَرْتُبِ السَّجْنِ عَلَى عَدَمِ امْتِثَالِهِ أَمْرَهَا، كَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ بَيْنَهُمَا فِعْلٌ فَاعِلٌ⁽²⁾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَزِيزَ مِصْرَ (زَوْجَهَا) هُوَ صَاحِبُ السَّلْطَةِ عَلَى السَّجْنِ، الْمُدِيرُ لَهُ، وَالْمُتَوَلَّى لِأَمْرِهِ.

إظهارُ سلطتها
حال عدم
القدرة، على ردِّ
أمرها

نَكْتَةُ عَدَمِ ذِكْرِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ:

لَمْ يُذَكِّرِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾، فَلَمْ يَرِدِ النَّظْمُ الْقِرَائِيُّ: (لَيْسَجَنَّ وَلَأَعَذِبْنَهُ عَذَابًا أَلِيمًا) أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ الْمَوْضِعِ الْمُتَقَدِّمِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25]، وَجَعَلَتِ الصَّغَارُ بَدَلًا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ؛ لِأَنَّ مَا طَلَبَتْهُ هَهُنَا أَعْظَمُ مِمَّا أَشَارَتْ بِطَلَبِهِ فِي الْمَوْضِعِ الْمُتَقَدِّمِ، بِدِلَالَةِ الْوَائِهِنَا، وَ(أَوْ) فِي الْمَوْضِعِ السَّابِقِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ السَّجْنِ وَالصَّغَارِ أَعْظَمُ مِنْ انْفِرَادِ السَّجْنِ أَوْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، عَلَى أَنَّ الصَّغَارَ يَكُونُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، كَالضَّرْبِ بِالسَّيَاطِ وَنَحْوِهَا، وَإِنَّمَا بَالَعَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ فِي التَّهْدِيدِ بِالْعُقُوبَةِ بِمَحْضَرِ النِّسْوَةِ: لِمَزِيدِ غَيْظِهَا بِظُهُورِ كَذِبِهَا، وَسُطُوعِ صِدْقِهِ مَعَ إِصْرَارِهِ عَلَى عَدَمِ إِجَابَتِهَا لِمَا تُرِيدُهُ مِنْهُ، وَلِتُعْلِمَ يُوسُفَ ﷺ أَنَّهَا فِي أَمْرِهَا هَذَا لَيْسَتْ عَلَى خِيفَةٍ

الجمع بين
السجن
والصغار أعظم
من انفراد
السجن أو
العذاب الأليم

(1) الزَّائِبُ، الْفُرْدَاتُ: (حَبِيسٌ - سَجْنٌ).

(2) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَانِي: 6/424.

ولا خُفْيَةٍ مِنْ أَحَدٍ، فَتَضِيقُ عَلَيْهِ الْحِيلُ وَالسُّبُلُ، فِيلْجاً إِلَى إِبْجَابَتِهَا⁽¹⁾،
وأيضاً فَإِنَّ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ لَمْ يُذَكَّرْ هُنَا، وَذُكِرَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ؛ لِأَنَّهَا
إِذْ ذَاكَ كَانَتْ فِي طَرَاوَةِ غِيْظِهَا وَمُتَنَصِّلَةٍ مِنْ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي رَاوَدَتْهُ؛
فَنَاسَبَ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ ذِكْرَ الْعَذَابِ، أَمَّا مَا طَلَبْتُهُ هُنَا فَهُوَ أَعْظَمُ،
إِذْ لَوَّحَتْ بِالْجَمْعِ بَيْنَ السَّجْنِ وَالصَّغَارِ⁽²⁾. وَيُؤَكِّدُ هَذَا أَنَّهَا أَنْذَرَتْهُ
فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ بِأَحَدِ الْعِقَابَيْنِ السَّجْنِ أَوِ الْعَذَابِ، أَمَّا هُنَا فَانْذَرَتْهُ
بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالصَّغَارِ:

أَثَرَ الْقِرْآنِ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرَ بِالصَّغَارِ دُونَ الدَّلِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾؛ لَوْجُودِ فَرْقٍ بَيْنَهُمَا؛ فَالدَّلُّ ضِدُّ الْعِزِّ، وَقَدْ
يَكُونُ مَحْمُودًا، وَقَدْ يَكُونُ مَذْمُومًا، وَهُوَ الْغَالِبُ، وَمِنْ اسْتِعْمَالِهِ فِي
الْمَحْمُودِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: 54] بِخِلَافِ الصَّغَارِ، فَأَغْلَبَ
اسْتِعْمَالُهُ فِي الْقِرْآنِ فِي مَوَاضِعِ الْمَهَانَةِ، وَهَذَا هُوَ مُرَادُ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ
فِي اخْتِيَارِهَا لِهَذَا اللَّوْنِ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي تَأْبَاهُ النَّفْسُ الْكَبِيرَةُ، مِثْلُ
يُوسُفَ ﷺ الَّذِي اسْتَعْلَى عَلَى رَغْبَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا؛ فَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ
تَكْسِرَ هَذَا الْعُلُوَّ الرُّوحِيَّ بِإِهَانَتِهِ.

دلالة: ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾:

قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حِكَايَةً عَنِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ
الصَّغِيرِينَ﴾ أَقْوَى فِي الْوَصْفِ بِالصَّغَارِ مِنْ أَنْ يُقَالَ: (وَلْيَكُونَنَّ
صَاغِرًا)، فَفِي ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهَا تَتَوَعَّدُهُ بِأَنْ
يَكُونَ مُعْرِقًا فِي الدَّلَّةِ، كَمَا فَرَّقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: زَيْدٌ مِنْ
الْعُلَمَاءِ، وَقَوْلِهِ: زَيْدٌ عَالِمٌ؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ أْبْلَغُ؛ لِاقْتِضَائِهِ أَنَّهُ غَارِقٌ فِي

أَرَادَتْ أَنْ تَكْسِرَ
تَأْبَى يُوسُفَ
عَلَى رَغْبَاتِهَا،
بِإِهَانَتِهِ، فَأَعَزَّهُ
اللَّهُ بِالْعَقَّةِ

تَهْدِيدُ امْرَأَةِ
الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ
ﷺ، بِأَنْ تَجْعَلَهُ
مُعْرِقًا فِي ذَلِكَ لَا
يَنْفَكُ عَنْهُ

(1) الألويسي، روح المعاني: 6/425.

(2) الألويسي، روح المعاني: 6/425.

العلم أبا عن جدٍّ، وأنتَ تشهدُ له بكونه معدودًا في زمرتهم، ومعروفًا
إسهامه لهم في العلم⁽¹⁾.

❖ الفروق المعجمية:

الصَّغَارُ وَالذُّلُّ:

الذُّلُّ في أصل اللغة يدلُّ على الخضوع واللين والانقياد، بخلاف
الصَّغَارِ فإنه يدلُّ على القِلَّةِ والحقارة والهوان، وقد يُشعرُ بالرضا
بالمنزلة الدنيئة. ووردَ لفظُ (الذُّلِّ) بصيغٍ مختلفةٍ، منها قولُ الله
تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 61]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24].
فالذُّلُّ والذِّلَّةُ في هذه الآياتِ وما أشبهها: ما كان عن قَهْرٍ، أو بعدَ
تَصَعُّبٍ، فقوله ﷻ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]؛
أي: كُنْ بِمَنْزِلَةِ الْمُقْهُورِ لَهُمَا فِي اللَّيْنِ وَالانْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ. وفُسِّرَتِ
الذِّلَّةُ في آيةِ البقرةِ بأنها الجِزْيَةُ، وهي مِمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمْ دَفْعُهُ
على سبيلِ الإلزام والقَهْرِ. أمَّا الصَّغَارُ فوردَ في القرآن الكريم في
ستِّهِ مواضعٍ، منها قولُ الله ﷻ: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ
اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأُنعام: 124]، ويُرادُ بالصَّغَارِ:
الضَّالَّةُ والحقارةُ بعدَ عِزٍّ وشَرَفٍ. والحاصلُ: أنَّ الذُّلَّ خضوعٌ
وانقيادٌ يكونُ بضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْقَهْرِ، بخلافِ الصَّغَارِ فلا يَلَزِمُ
فيه القَهْرُ؛ إذ قد يكونُ برِضا المرءِ بالهوانِ والمَنْزِلَةِ الدَّنِيَّةِ، فالصَّغَارُ
بهذا الاعتبارِ أعمُّ. وفي الصَّغَارِ مَلَحَظٌ آخَرٌ؛ وهو الهبوطُ إلى مَنْزِلَةٍ
دُنْيَاً بعدَ عِزٍّ وشَرَفٍ، فهو بهذا الاعتبارِ أخْصُ⁽²⁾.

الذُّلُّ انْقِيَادٌ
بِضَرْبٍ مِنْ
ضُرُوبِ الْقَهْرِ،
بِخِلَافِ الصَّغَارِ
فَقَدْ يَكُونُ بِرِضَا
الْمَرْءِ بِالْهَوَانِ

(1) الألوسي، روح المعاني: 1/236، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/263 - 12/264 - 265.

(2) محمَّد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 260 - 261.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 22، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 7-19-978-9948-768

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 22: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 7-19-978-9948-768

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»